



# قراءة في زيارة ترامب إلى الصين وتداعياتها

بقلم

الباحث عادل محمد عادل

كلية السياسية والاقتصاد/ جامعة بني سويف

مصر



تأسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية عام 2008 بمدينة بابل (الحلة)، وحصل على شهادة التسجيل من دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة 1Z71874 بتاريخ 2012/12/25، بوصفه مركزاً علمياً بحثياً يهتم بدراسة الموضوعات السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الاهتمام بالقضايا والظواهر الراهنة والمحتملة في الشأن المحلي والإقليمي والدولي، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

- لا يجوز إعادة نشر أي من هذه الأوراق البحثية الا بموافقة المركز، وبالإمكان الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً.
- لا تعبر الآراء الواردة في الورقة البحثية عن الاتجاهات التي يتبناها المركز وإنما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.

## للتواصل

مركز حمورابي

للبحوث والدراسات الاستراتيجية

العراق - بغداد - الكرادة

+964 7810234002

hcrsiraq@yahoo.com

www.hcrsiraq.net

## مقدمة

لم تكن زيارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى بكين في عام 2026 مجرد محطة دبلوماسية عابرة في سجل العلاقات الثنائية بين واشنطن وبكين، بل جاءت في لحظة فارقة يشهد فيها النظام الدولي تحولات بنيوية عميقة، لم تشهدها البشرية منذ انهيار الاتحاد السوفيتي. فالعالم الذي كان حتى الأمس القريب يخضع لـ"أحادية قطبية" أمريكية شبه مطلقة، أصبح اليوم أمام مشهد معقد تتقاطع فيه مصالح القوى الكبرى، وتتداخل فيه أدوات القوة الصلبة والناعمة والتكنولوجية، على نحو يجعل من الصعب تصنيفه ضمن النماذج التقليدية للعلاقات الدولية. في هذا السياق، حملت زيارة ترامب إلى الصين أكثر من مجرد صور تذكارية أو بيانات بروتوكولية، فقد كانت اختبارًا عمليًا لـ"ثنائية قطبية مرنة" لم يسبق لها مثيل، حيث تجلس القوتان العظميان على طاولة واحدة، تتنافسان وتتشاركان في آن واحد، وتحاول كل منهما رسم ملامح المرحلة القادمة دون أن تفقد ماء وجهها أو تضحي بمصالحها الاستراتيجية. والأكثر إثارة أن الملف الإيراني كان حاضرًا بقوة في تلك المباحثات، ليس كملف ثانوي، بل كورقة رابحة تسعى كل من واشنطن وبكين إلى توظيفها لخدمة أهدافها الأوسع في "الشرق الأوسط" والعالم. ومن هنا، ينطلق هذا البحث من فرضية مفادها أن زيارة ترامب إلى الصين كانت إعلانًا غير مكتوب عن نهاية عصر الهيمنة المطلقة، وبداية مرحلة انتقالية طويلة تتشكل فيها قواعد جديدة للعبة الدولية. ولتحليل هذه القضية المتشعبة، اعتمدت في هذا البحث على أربعة محاور رئيسية، هي:

### التحولات البنيوية في النظام الدولي - من الأحادية إلى الثنائية المرنة

لم يعد خافيًا على أحد أن النظام الدولي الذي تأسس بعد الحرب الباردة على قطب واحد - تمثل في التفوق الأمريكي العسكري والاقتصادي والتكنولوجي - قد بدأ يتآكل بشكل متسارع منذ العقد الثاني من الألفية الثالثة. لكن عام 2026 حمل معه دليلاً قاطعًا على أن الأحادية لم تعد خيارًا قابلاً للتطبيق، ولا حتى أداة فعالة لإدارة الأزمات العالمية.

الولايات المتحدة لا تزال، بلا شك، القوة الأكبر عالميًا. تمتلك أقوى أسطول بحري، وأكثر من 800 قاعدة عسكرية خارج أراضيها، وعملة لا تزال مهيمنة على المبادلات الدولية. لكن الفارق الجوهرى اليوم أنها لم تعد قادرة على ترجمة هذا التفوق إلى هيمنة مطلقة كما كانت تفعل في التسعينيات. فقد ظهرت الصين كقطب منافس ليس فقط في المجال الاقتصادي، بل في الفضاء، والتكنولوجيا، والذكاء الاصطناعي، وأيضًا في الدبلوماسية الدولية.

وما يميز المرحلة الحالية عن الحرب الباردة التقليدية أن القطبين الجديدين ليسا منفصلين اقتصاديًا. العكس صحيح، فهما متشابكان عبر سلاسل توريد معقدة، واستثمارات ضخمة، وحتى أدوات مالية مشتركة. لهذا السبب، أفضل تسمية ما نعيشه اليوم بـ "الثنائية المرنة" (Flexible Bipolarity)، حيث يصرح القادة بقوة، ويتنافسون بشراسة، لكنهم في النهاية يضطرون للجلوس معًا على طاولة واحدة عندما تهدد أزمة كبرى المصالح المشتركة.

هذه المرونة ظهرت بوضوح في قمة بكين:

1. ترامب كان حادًا في تصريحاته قبل الزيارة عن "التهديد الصيني"، لكنه خلال المباحثات وقع صفقات بمليارات الدولارات.

2. شي جين بينج كان صارمًا في دفاعه عن السيادة التكنولوجية للصين، لكنه قدم تنازلات ضمنية في الملف الإيراني. هذا هو جوهر الثنائية المرنة: لا أصدقاء، ولا أعداء بالمعنى المطلق، فقط مصالح متداخلة وحدود يتم اختبارها باستمرار.

أما القوى الأخرى - روسيا، الاتحاد الأوروبي، الهند - فهي ليست أقطابًا بالمعنى الكامل، بل "قوى توازن" تحاول الاستفادة من الثغرات بين العملاقين. فروسيا تراهن على القوة العسكرية والنووية، لكن اقتصادها يظل نقطة ضعفها. أما أوروبا قوة اقتصادية هائلة، لكنها تفتقر إلى الوحدة الاستراتيجية والعسكرية. الهند تملك ديموغرافية واعدة، لكنها ما زالت في طور بناء بنيتها التحتية وتأكيد دورها العالمي. في النهاية، يظل الصراع الحقيقي بين واشنطن وبكين، وجميع الآخرين يختارون مواقعهم بحسب ما تمليه عليهم اللحظة والمصلحة.

زيارة ترامب إلى بكين - ما خلف الكواليس

عندما هبطت الطائرة الرئاسية الأمريكية في بكين، كانت الأجواء مشحونة بالتوقعات. المراقبون توقعوا أن تكون الزيارة شديدة التوتر، خاصة بعد الحملات التصعيدية التي سبقتها من الجانبين حول تايوان والرقائق الإلكترونية. لكن ما حدث كان مختلفًا تمامًا. ترامب لم يأت بمفرده. اصطحب معه وفدًا ضم كبار رجال الأعمال وعمالقة التكنولوجيا الأمريكيين. هذه ليست مصادفة. فمنذ اليوم الأول، كانت الرسالة واضحة: واشنطن مستعدة للتعامل مع بكين كشريك تجاري كبير، حتى لو كانت تتعامل معها كخصم استراتيجي في قاعات السياسة. هذه الازدواجية هي ما ميز القمة بأكملها. وعلى المستوى المعلن، كانت الصفقات التجارية هي الحدث الأبرز:

1. شراء الصين لمائة طائرة بوينج.

2. اهتمامها بشراء فول الصويا والنفط الأمريكي.

هذه الصفقا وحدها تبلغ قيمتها عشرات المليارات من الدولارات. وهي أرسلت رسالة مزدوجة: من واشنطن إلى وول ستريت مفادها "العلاقات التجارية مع الصين لا تزال مربحة"، ومن بكين إلى العالم مفادها "نحن مستعدون للشراء، لكننا نختار من نشترى منه ومتى".

لكن ما حدث خلف الأبواب المغلقة كان أكثر إثارة. هناك، ناقش ترامب وشي جين بينج الملفات الشائكة التي لم تظهر في البيانات الرسمية: مستقبل تايوان، والسباق التكنولوجي، والأهم من ذلك كله - الملف النووي الإيراني. ترامب أراد من الصين أن تضغط على طهران لقبول فتح الملف النووي في المرحلة الأولى من أي مفاوضات، بدلاً من تأجيله كما كانت تقترح إيران. في المقابل، كانت بكين تريد ضمانات أمريكية بعدم التصعيد في آسيا، وعدم فرض عقوبات تقنية جديدة تطال شركاتها الكبرى. هنا برز الدور الصيني الوسيط. عندما تعثرت المفاوضات بين واشنطن وطهران حول مكان تخزين الوقود الإيراني المخصب - رفضت إيران تسليمه لأمريكا، ورفضت أمريكا

تسليمه لروسيا - جاءت الصين لتقول: "سنستلمه نحن". هذه الخطوة الدبلوماسية الذكية جعلت بكين طرفًا لا يمكن تجاوزه في أي تسوية مستقبلية. وهي أيضًا أظهرت أن الصين لم تعد مجرد لاعب اقتصادي، بل لاعب جيوسياسي حقيقي.

ما يؤكد نجاح الزيارة من وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية هو أن ترامب عاد إلى واشنطن حاملاً ما يمكن وصفه بـ"بطاقة تأمين": موافقة صينية ضمنية على عدم عرقلة الجهود الأمريكية للضغط على إيران، مقابل وعود أمريكية ضمنية بعدم المساس بالمصالح الاقتصادية الصينية في الخليج. لكن هل ستلتزم الأطراف بهذه التفاهات غير المكتوبة؟ ولكن الأيام القادمة وحدها كفيلة بالإجابة على ذلك التساؤل.

### الملف الإيراني كورقة في لعبة القطبين

لا يمكن فهم أهمية زيارة ترامب إلى بكين دون وضع الملف الإيراني في مركز الصورة. فطهران لم تكن مجرد هامش في المباحثات، بل كانت المحرك الرئيسي لجدول الأعمال.

قبل الزيارة بأسابيع، قدمت إيران مقترحات غير معلنة بالكامل، تتضمن فتح مضيق هرمز للملاحة الدولية مقابل رفع الحصار الاقتصادي، مع تأجيل النقاش حول البرنامج النووي إلى مرحلة لاحقة. هذا الطرح الإيراني كان ذكيًا، لأنه يفصل بين قضية الملاحة (التي تهتم العالم بأسره) وقضية التخصيب (التي تهتم الغرب و"إسرائيل" بشكل خاص). لكن ترامب رفض الفكرة، لأنه يعتبر أن الملف النووي هو أداة الضغط الوحيدة التي يمتلكها ضد طهران. وبدون حسمه أولاً، ستفقد أمريكا أوراقها التفاوضية. هنا تدخلت الصين. لم تطلب بكين من إيران التنازل كليًا، بل عرضت نفسها كحل وسط. فالموافقة على استلام 450 كيلوجرامًا من الوقود المخصب بنسبة 60% كانت بمثابة "كسر للجمود". إيران يمكنها القول "لم نسلم لأمريكا مباشرة"، وأمريكا يمكنها القول "خرج الوقود من أراضي إيران"، والصين تظهر كدولة مسؤولة تحل أزمات العالم.

لكن بعد العودة من بكين، حدث تطور مفاجئ. نشر ترامب صورة على منصة "تروث سوشيال" مكتوبًا عليها "هدوء ما قبل العاصفة"، مع خلفية لسفن إيرانية في البحر. تصريحاته التلفزيونية أصبحت أكثر حدة، حيث قال إنه لا يعرف ما إذا كانت إيران ستتفادى "وقتًا صعبًا جدًا". في نفس الوقت، أعلنت إسرائيل عبر قنواتها عن استعدادات متقدمة لاستئناف العمليات العسكرية ضد منشآت الطاقة والغاز والكهرباء في إيران.

لماذا هذا التصعيد بعد الزيارة التي بدت ناجحة؟ الإجابة تكمن في أن ترامب شعر أن التفاهات مع الصين قد أعطته غطاءً كافيًا لتشديد الخناق على طهران. كما أنه كان يريد اختبار مدى جدية الصين في تطبيق وعودها. هل ستظل بكين وسيطًا محايدًا، أم أنها ستتحاز لإيران إذا اشتدت الأزمة؟ وسرعان ما ظهرت شروط الحرب من الجانبين.

أمريكا طلبت خمسة بنود:

1. عدم دفع تعويضات لطهران.

2. تسليم 400 كجم من اليورانيوم.

3. تشغيل مفاعل واحد فقط.

4. ربط وقف الحرب بالتفاوض.

5. استمرار تجميد الأصول.

#### إيران بالمقابل طالبت:

1. بوقف القتال على جميع الجبهات.

2. رفع الحصار كاملاً.

3. الإفراج عن الأموال المجمدة.

4. الاعتراف بسيادتها الكاملة على مضيق هرمز.

5. ضمانات أمريكية مكتوبة.

من الواضح أن هناك فجوة شاسعة. لكن اللافت أن الصين لم تعلق رسمياً على هذه الشروط، مما يعني أنها تنتظر اللحظة المناسبة لتقديم صيغة توافقية. وتحليلي الشخصي هنا أن الصين ستحاول تقليص الشروط الإيرانية إلى ثلاثة بنود فقط:

1. وقف إطلاق النار.

2. رفع جزئي للعقوبات.

3. الإفراج عن جزء من الأموال.

كل ذلك مقابل تمديد تجميد التخصيب لمدة 15 عامًا بدل 10. هذا هو السيناريو الأكثر واقعية في الوقت الحالي.

#### سيناريوهات المستقبل - أين تتجه الأمور بعد الزيارة؟

بعد تحليل كل ما سبق، يمكنني تصور ثلاثة سيناريوهات رئيسية للأشهر القادمة، تتراوح بين الأكثر ترجيحاً والأقل احتمالاً.

#### السيناريو الأول: اتفاق ظل بوساطة صينية

في هذا السيناريو، تنجح الصين في التوسط لاتفاق غير معلن: تتسلم الوقود المخصب، وتخفف أمريكا بعض العقوبات الثانوية (مثل تجميد أصول إيرانية محدودة بدل الكلية)، وتلتزم إيران بعدم تخصيب اليورانيوم فوق 3.67% لمدة 5 سنوات قابلة للتجديد. مضيق هرمز يُفتح تدريجياً مقابل مرور آمن للسفن غير الحربية. لا أحد يعلن النصر، لكن الجميع يحصل على شيء. هذا السيناريو يخدم ترامب في حملته الانتخابية (تجنب حرب جديدة)، ويخدم الصين (تثبيت دورها الوسيط)، ويخدم إيران (تنفس اقتصادي بدون تنازل استراتيجي كبير). العقبة: "إسرائيل" قد تحاول تخريبه بعملية محدودة.

#### السيناريو الثاني: ضربات محدودة بدون اجتياح بري

إذا شعر ترامب أن إيران تماطل، أو أن "إسرائيل" تمارسه ضغطاً لا يحتمل داخل واشنطن، فقد يوجه ضربة جوية

ضد منشأة نووية واحدة أو قاعدة صواريخ بعيدة المدى. لكنه سيتجنب أي عملية برية. الرد الإيراني سيكون عبر وكلائها في المنطقة (حزب الله، الميليشيات العراقية، الحوثيون)، مما يؤدي إلى دوامة تصعيد محدودة لمدة أسابيع. الصين ستتدخل دبلوماسياً لوقف التصعيد، وقد تنجح مقابل أن تقدم أمريكا تنازلات لبكين في ملف التكنولوجيا أو بحر الصين الجنوبي. هذا السيناريو يرفع أسعار النفط مؤقتاً لكنه لا يؤدي إلى حرب إقليمية شاملة.

### السيناريو الثالث: حرب واسعة

هذا السيناريو هو الأسوأ، ولن يحدث إلا إذا ارتكب أحد الأطراف خطأ فادحاً. مثلاً: استهداف إيراني مباشر لسفينة حربية أمريكية يقتل بحارتها، أو قصف "إسرائيلي" موسع يدمر مفاعل نطنز بالكامل. عندها ستجد أمريكا نفسها مجبرة على الرد بقوة، وستتحول المنطقة إلى جبهة مفتوحة. الصين ستكون المستفيد الأكبر:

1. ستبيع النفط الإيراني بأسعار خيالية عبر قنوات سرية.

2. تستقبل رؤوس الأموال الهاربة من الخليج.

3. ستعزز صورتها كدولة مستقرة وسط فوضى عالمية.

لكن الكل سيخسر في النهاية، لأن الحرب ستؤدي إلى انهيار اقتصادي عالمي وربما استخدام أسلحة غير تقليدية.

### خاتمة

ما جرى في بكين عام 2026 لم يكن مجرد قمة ثنائية، بل كان مرآة لنظام دولي يبحث عن هويته الجديدة. الأحادية الأمريكية لم تعد خياراً، والتعددية القطبية لم تكتمل بعد. نحن في مرحلة انتقالية طويلة، تتسم بالسيولة والتعقيد، حيث تتنافس القوتان العظميان وتتشاركان في الوقت نفسه، وتديران أزماتهما عبر مزيج من التهديد والحوار.

الملف الإيراني لم يكن سوى اختبار عملي لهذه المعادلة الجديدة. فطهران لعبت دورها بذكاء، مستغلة الانقسام الدولي لتعظيم مكاسبها. وواشنطن حاولت احتواء التهديد دون الدخول في مستنقع جديد. وبكين راهنت على استمرار الأزمة المدارة كوسيلة لتعزيز نفوذها. و"إسرائيل" وقفت على الهامش تلوح بورقة التصعيد، لكنها تدرك أن أي حرب واسعة لن تمر دون ثمن باهظ. في النهاية، ما ستكشفه الأيام القادمة ليس فقط مصير الاتفاق النووي، بل طبيعة النظام العالمي للعقد القادم. هل سننتقل إلى نظام أكثر استقراراً تقوده قوتان تتعلمان كيف تتنافسان دون أن تتصادما؟ أم سننزلق إلى فوضى أكثر تنظيماً، حيث كل طرف يحاول كسب بضع خطوات إضافية على حساب الآخر، حتى يأتي يوم لا يعود فيه التراجع ممكناً؟

هذا ما ستحسمه السنوات القليلة القادمة. لكن المؤكد الآن أن زيارة ترامب إلى بكين كانت واحدة من علامات الطريق في هذه الرحلة الطويلة.